

مقالة / الجزء الثاني والأخير

بعض ملامح التوحيد في الثورة الحسينية

• الشيخ عزيز حسن الخزان

! الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها



ولقد جاء في خطبة الإمام الحسين^(عليه السلام) في مكة مع جموع الحُجَّاج -وهو يخبر النَّاس عن الوظيفة الشرعية، وأنَّ مصير التخادل ضياع الإسلام، وأنَّه لا بدَّ من الوقوف في وجه المشروع اليزيدي ولو من خلال شهادة السُّبط المعصوم-: ”رضى الله رضانا أهل البيت“.

وتحقيق رضا أهل البيت^(عليهم السلام) -والذي يضمن رضا الله والتَّوحيد الخالص- لا يكون بالشُّعارات، وإنَّما الطَّرِيق إلى ذلك واضح، وهو طريق الاتِّباع والطَّاعة والحبِّ القلبي والعَملي، فلا معنى لأنْ نحصر على رضا أهل البيت^(عليهم السلام) دون اتِّباعهم وطاعتهم، فإنَّ رضاهم ليس أمراً نفسياً ودنيوياً

كما يراضي بعضنا بعضاً، بل هو رضا إلهي يستلزم طاعة الله تبارك وتعالى وطاعة أهل البيت^(عليهم السلام) والابتعاد عن أعدائهم.

جاء في الرِّواية عن إمامنا الصادق^(عليه السلام) قال: ”وقد إلى الحسين^(عليه السلام) وقد فقالوا: يا ابن رسول الله، إنَّ أصحابنا وفدوا إلى معاوية، ووفدنا نحن إليك، فقال: إذن أجيئكم بأكثر ممَّا يجيئهم، فقالوا: جعلنا فداك، إنَّما جئنا مرتادين لديننا، قال فطأطأ رأسه، ونكت في الأرض وأطرق طويلاً، ثم رفع رأسه فقال: قصيرة من طويلة، من أحبَّنا لم يحبَّنا لقرابة بيننا وبينه، ولا لمعروف أسديناه إليه، إنَّما أحبَّنا لله ورسوله، فمن أحبَّنا جاء معنا يوم القيامة كهاتين، وقرن بين سبابتيه“.

■ **النقطة السادسة: التَّوحيد**

وغاية الإمام^(عليه السلام) من الحكم

قلنا بأنَّ الحاكمية لله تعالى وحده، وهو سبحانه الذي ينصب هذا الحاكم ويختاره، لأنَّ الحاكم يجب أن يكون خليفة الله في الأرض، ولا بدُّ ألا يرى لنفسه حقَّ الملك والحكم في شيء، إلَّا ما يحكم به الله ويأمر به، وإلَّا كان هذا الحاكم قد أعطى لنفسه ما هو حقُّ خالص لله تعالى، فيقع في الشرك صريحاً، حتَّى لو حاول نفي ذلك.

وكان يزيد بن معاوية

قد أشرنا في الجزء الأول من المقالة إلى بعض ملامح التوحيد في الثورة الحسينية، المقتنصة من أقوال إمامنا أبي عبد الله الحسين^(عليه السلام) وأفعاله قبل الثُّورة وأثناءها، ضمن أربعة نقاط:

النقطة الأولى: من أنواع التَّوحيد (التَّوحيد في الحاكمية)

النقطة الثانية: منطلق التَّوحيد الحسيني الثُّطق

باسم الله تعالى

النقطة الثالثة: من وجوه التَّوحيد التسليم لله تعالى

النقطة الرابعة: التَّوحيد في الخشية

وفي هذا الجزء، نشير إلى نقاط أخرى:

■ **النقطة الخامسة: التَّوحيد ورضا أهل البيت^(عليهم السلام)**

من الوجوه التي قد تكون خفيةً على بعض، هو علاقة التَّوحيد الخالص برضا أهل البيت^(عليهم السلام) واتِّباعهم اتِّباعاً مطلقاً، ولكن مع قليل من التأمُّل سجد أنَّ العلاقة واضحة وبينة، ونوضِّح ذلك من خلال المقدَّمات التالية:

-رضا الله سبحانه حتَّى يكون متوافقاً مع التَّوحيد الخالص، يجب ألا يكون معه سعي لرضا غيره من المخلوقين.

-إذا قرن الله رضا أحد من الخلق برضاه تعالى، فهذا يعني أنَّ السَّعي لرضى ذلك الإنسان مظهراً من مظاهر التَّوحيد الخالص.

-ثبت بالأدلة الكثيرة أنَّ الرُّضا الإلهي مقرون دائماً برضا أهل البيت^(عليهم السلام).

والنتيجة: أنَّ السَّعي لرضا أهل البيت^(عليهم السلام) شرطٌ لتحقيق التَّوحيد الإلهي الخالص، وأنَّ السَّعي لرضا غيرهم من المخلوقين يعتبر شركاً في الرُّضا والطَّاعة.

وهذه النتيجة، حيث إنَّها من وظائف الأنبياء والأئمة^(عليهم السلام) فهم لا يتعاملون معها معاملة شخصية، بل من تكاليفهم الشرعية أن يدعوا النَّاس إلى طاعتهم والسَّعي لرضاهم، لإظهار هذا الوجه من التَّوحيد، خصوصاً حينما يفرض واقعٌ صحيح الذي تكون مخالفته معصية، فيفرض -كما هو حاصل في زماننا حيث طاعة الحاكم واجبة، وطاعة غيره المخالف للحاكم غير جائزة ولو كان عالماً عادلاً متقيّاً- أنَّ المؤمن لا يجوز له إغضاب الحاكم الفعلي، وأنَّ تعريض نفسه لغضبه هو إلقاء للنفس في التهلكة، بل ينبغي اتِّباع رضاه، وإن غلغوا بعض هذه الدَّعوى بعبارات غير واقعية، كالقول بوجوب طاعة الحاكم فيما يرضي الله، والحال أنَّ الحكام أصل حكمهم لا يرضي الله، فضلاً عن سلوكهم وفسادهم.

وكان يراد من خلال تنصيب يزيد بن معاوية أن يفرض هذا الجو، فإذا نجح من يزيد المنتهك فمع غيره سيكون أنجح، وستكون ضربة قاصمة للإسلام، وكان من أحد وجوه أسباب النهضة الحسينية المباركة منع حصول هذا الجو بالقدر الممكن، وقد نجح المشروع الحسيني مع مجموعة كبيرة من الأمَّة، وإن كانت آثار المشروع اليزيدي سيطر بشكلٍ وآخر على عقل الأمَّة.

اللهم نعم. قال: ”فأنشدكم الله، هل تعلمون أنَّ علياً كان أوَّلهم إسلاماً، وأعلمهم علماً، وأعظمهم حملاً، وأته ولي كلِّ مؤمن ومؤمنة؟“ قالوا: اللهم نعم. قال: ”فيم تستحلون دمي، وأبي الدَّائد عن الحوض غداً، يذود عنه رجالاً كما يذاد البعير الضَّادي عن الماء، ولواء الحمد في يدي جدِّي يوم القيامة؟“ قالوا: قد علمنا ذلك كله، ونحن غير تاركيك حتَّى تذوق الموت عطشاً. فأخذ الحسين^(عليه السلام) بطرف لحيته، وهو يومئذ ابن سبع وخمسين سنة، ثمَّ قال: ”اشتدَّ غضب الله على اليهود حين قالوا: عزيز بن الله، واشتدَّ غضب الله على النَّصارى حين قالوا: المسيح بن الله، واشتدَّ غضب الله على المجوس حين عبدوا النار من دون الله، واشتدَّ غضب الله على قوم قتلوا نبيِّهم، واشتدَّ غضب الله على هذه العصابة الذين يريدون قتل ابن نبيِّهم“.

فهذه التفاصيل من مناشدته^(عليه السلام) لإثبات أنَّ الذي يقاتلونه يمثِّل الذين والَّيتي^(عليهم السلام)، وأنَّه لا حجةَ لهم أصلاً في محاربته، وأنَّ قتاله، هو بمنزلة الشرك بالله تعالى، بل هو كذلك.

وقد أدرك هذا المعنى بعض المؤمنين، فقد روي أنَّ يزيد بن مسعود التَّهشلي -من البصرة- حينما أتاه رسول الحسين^(عليه السلام) يدعوه لنصرته جمع عشيرته وخطب فيهم ممَّا قاله لهم: ”وقد قام يزيد شارب الخمر ورأس الفجور والله أقسم بالله قصماً مبروراً لجهاده على الدِّين أفضل من جهاد المشركين“، ولمَّا أراد الخروج سمع بقتل الإمام^(عليه السلام).

■ **الخاتمة**

إنَّ الثُّورة الحسينية المقدَّسة والتي قام بها سيِّد الشهداء^(عليه السلام) قد ذكرها الأنبياء^(عليهم السلام) قبل وقوعها، وذكرها رسول الله^(صلى الله عليه وآله وسلم) مراراً وتكراراً، وجعلت هي القضية المحورية للذين والإسلام، ولبقاء القيم والمبادئ، وهي الحافظ من المفساد والانحرافات، وهي الطَّرِيق لمحاربة الظُّلم والجور، وحينئذ ينبغي التعامل معها على أنَّها خلاصة جهد الأنبياء والأوصياء، وأنَّ الأساس فيها والمبدأ والمنطلق الذي لا يجوز إغفاله هو التَّوحيد الخالص بجميع جوانبه ونواحيه.

وأنَّ من يقتصر في التَّعامل مع هذه الثُّورة والنُّهضة المباركة من بعض الجوانب فقط، فهو يظلم هذه الثُّورة، ويهضمها حقها، وهو غير واع لحقيقتها وغاياتها الكبرى، وذلك يودِّي إلى الوقوع في الاشتباهات والانحرافات، والسلوكيات الخاطئة.

فعلينا أن نتمعن أكثر في كلِّ كلمةٍ وفعلٍ قد صدر من الإمام الحسين^(عليه السلام)، ونضعها ضمن خطِّ التَّوحيد؛ لكي نستطيع تحقيق أهداف هذه الثُّورة، ونكون شركاء في بعض الأجر، الذي أعطي لهذا الإمام العظيم، ولأصحابه الشَّهداء عليهم جيماً صلوات المصلِّين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على خير خلقه محمد وأهل بيته الطَّيبين الطَّاهرين.

المصدر: الأبدال

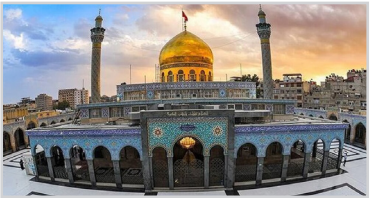
• السنة الثانية | • ال ٧٤ | • الإثنين | • محرم ١٤٤٥ هـ | • ٢٩ يوليو ٢٠٢٤ م

• هاتف: +٩٨ ٢٥ ٣٢٩٠٠٠٥٣٨ • فاكس: +٩٨ ٢٥ ٣٢٩٠٠١٥٢٣ • ٤ صفحات

Ofogh-e Hawzah Weekly

- مركز إدارة الحوزات العلمية
- المشرف: رضا رستمى
- رئيس التحرير: على رضا مكتبدار بمساعدة الهيئة التحريرية
- هاتف: +٩٨ ٢٥ ٣٢٩٠٠٠٥٣٨ • فاكس: +٩٨ ٢٥ ٣٢٩٠٠١٥٢٣
- ص. ب: ٣٧٨٥/٤٣٨١
- العنوان: قم، شارع جمهوري، زقاق ٢، رقم ١٥
- الموقع: www.ofoghhawzah.ir
- البريد الإلكتروني: info@ofoghhawzah.ir
- تصميم:مرتضى حيدري آهنگري • مسئول الطب: مصطفى اويسي
- طباعة: صميم ٣٢٥٣٣٧٥ ٩٨ ٢١ +

شعر وقصيدة



•الحاج محمد علي آل كقونة

و لئن نسيت فلست أنسى زينباً
ودوام محنتها وطول عنائها
حَمَلَتْ من الأرزاء ما أعيا الوري
حَمَلَ اليسير النَّزْر من أعبائها
عن كربها وبلائها سَل كربلا
سَل كربلا عن كربها وبلائها
ظوراً على القتلى تنوح وتارةً
تحنو محافظة على أبنائها
وتظوف حول حمى أباد خماته
صُرْف الردى وأبّاح هَتَك نسانها
مَن مُبْلِغ عني سرايا هاشم
خبراً يَدَك الشم من بطحائها
سُبِّيت، وأعظم ما شجاني غيرةُ
يا غيرة الإسلام، سَلِبْ ردائها
ووقوفها في مجلس جُلاسه
أهوى بها الشيطان في أهوائها

مقتطف

مكافحة التحريفات

في قضية عاشوراء

إن الواعظ الحسيني يجب أن ينهي حديثه بذكر المصيبة وذكر المصيبة هذا ينبغي أن لا يبقف تأثيره عند بكاء الناس فالبكاء وحده لا يكفي، بل إن المطلوب أن يهتز المجلس من مكانه ويرتج ارتجاجاً وتظهر كل ملامح الماساة في ذلك المجلس. وأننا لا أخاف أن يهتز المجلس ولكن أقول إن اهتزاز المجلس ووقوع

الهرج يجب أن لا يكون هدفاً بحد ذاته. فإذا كان الأمر كله يتم في الاتجاه الصحيح ويتوافق ذلك مع شرح للحقائق وتبينها دون اللجوء إلى نقطة الغزبية الكاذبة أو اللجوء إلى التزوير والتحريف واختلاق أسماء لأصحاب الإمام الحسين^(عليه السلام) ممن لا يعرفهم التاريخ كما لا يعرفهم الإمام الحسين^(عليه السلام) نفسه لأنهم لا وجود لهم في الأساس. ويكون الإنسان غير مضطر لذكر أسماء لأبناء الحسين ممن لا وجود لهم في الواقع الخارجي أو ذكر أسماء لأعداء الحسين ممن لا وجود لهم فإذا سال الدمع على المصداق والحقيقة، وحصل عندها الغليان واهتزاز المجلس وتمثلت كربلاء في ذلك العزاء فإنه أمر جيد جداً.

ولكن ماذا لو اختفت الحقيقة والصدق والإخلاص فهل علينا أن نحارب الإمام الحسين^(عليه السلام) وتعاديه ونكذب عليه ونقول عليه؟

هذه هي نقاط ضعف الناس العوام، فما هو المطلوب منا أن نفعل مقابل ذلك؟ هل يجوز لنا أن ننتهك نقطة الضعف هذه؟ ونقول إنه ينبغي استثمار هذه الحالة وركوب الموجة؟ ونتوج أنفسنا بتاج نيشابور لأن عوام الناس حقق ولا بد لنا من استغلال حماقتهم؟! كلا، فإن الرسالة الخطيرة والكبيرة والمقلاعة على عاتق العلماء هي مكافحة نقاط الضعف التي يعاني منها المجتمع.

ولذلك فإن الرسول الاكرم^(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: "إذا ظهرت البدع في امتي فيلظهر العالم علمه، وإلا فعليه لعنة الله".

والقرآن الكريم يذهب إلى أبعد من ذلك بقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ}. نعم فواجب العلماء في عصر خاتم النبوة هو مكافحة التحريف. ولحسن الحظ فإن وسائل هذا الكفاح وأدواته موجودة كما أن هناك عدداً لا بأس به من العلماء ممن وقفوا هذا الموقف المشرف حتى الآن. وما كتاب «اللؤلؤ والمرجان» الذي يتعرض فيه مؤلفه إلى موضوعة واقعة عاشوراء التاريخية وهو الكتاب الذي تطرقت إليه في المجالس الثلاثة الماضية لمؤلفه الحاج نورى^(رحمته الله تعالى) إلا تطبيقاً عملياً ومصدقاً حياً لهذه الوظيفة المقدسة جداً جداً والتي قام بها هذا الرجل العظيم على أحسن وجه وهي المصداق الحي للقسم الأول من حديث الرسول^(صلى الله عليه وآله وسلم): "إذا ظهرت البدع في امتي فيلظهر العالم علمه".

المصدر: الملحة الحسينية (ج ١/ص ٨٢)، العلامة الشهيد الشيخ مرتضى مطهري^(رحمته الله تعالى)